

الدكتور عمر سليمان الأشقر

الطبعة الرابعة

١٤١٠هـ - ١٩٩٠م



مكتبة الفلاح
للنشر والتوزيع

شارع بيروت مقابل بريد حولي القديم
تلفون 2641985 - 2647784 فاكس
ص.ب: 4848 الصفاة الرمز البريدي 13049 الكويت
برقيا: لغاتكو



دار النفائس
للنشر والتوزيع - الكويت

النقرة ـ شارع موسى بن نصير
قرب دوار الفارابي ـ هاتف 2629583
ص.ب: 6609 حولي 32041 الكويت

الصوم في ضوء
الكتاب والسنة

بسم الله الرحمن الرحيم

« فاتحة لكل خير وتمام لكل نعمة »



إن الحمد لله ، نحمده ونستعينه ونستهديه ونتوب إليه ، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا ، وسيئات أعمالنا ، من يهده الله فلا مضل له ، ومن يضلل فلا هادي له ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لاشريك له ، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله . وبعد :-

ففي كل عام يأتي شهر كريم ، شهر رمضان ، تفتح فيه أبواب الجنان ، وتوصد أبواب النيران ، وتفتح أبواب السماء ، وتُسلسل الشياطين .

يجيء هذا الشهر ليوقظنا من غفلتنا ، ويغير من إلفنا ، ويذكرنا بأمجادنا : ففيه أُنزل القرآن وفيه كانت معركة الفرقان ، أول معركة يتحقق فيها نصر الإسلام ، وفيه تم الفتح المبين ، بفتح مكة البلد الأمين .

هذا الشهر ، شهر القرآن ، وشهر الغفران ، وشهر الرحمة والتجليات ، فحري بنا أن نغتنم فرصته ، فنصوم نهاره ، ونشغله بالطاعات ، ونحيي ليله بالقيام ، وحق للأخيار ان ينتظروا مقدمه ، ويسروا بلقياه كما يفرح الأهل بلقاء العائد بعد

الأوبة من سفر طويل .

وهذه أخي كلمات في الصيام مستمدة من مشكاة الكتاب والسنة ، تبين شيئاً من أحكامه وحكمه وفضائله ، أسأل الله أن يجعلها خالصة لوجهه ، وأن ينفع بها عباده وصلى الله وسلم على عبده ورسوله محمد .

عمر سليمان الأشقر

* * * *

الفَصْلُ الأوَّل

فضائل الصوم وحكمته

أرأيت عمـلا يصلح النفـوس ويسمـو بهـا ، ويـدفـع إلى اكتساب المحامد ، والبعد عن المفـاسد ، ويقـوي العزائم ، ويقوم الارادة ، ويصلح الأبدان ، ويبـرىء الأسقام ، ويقـرب العبـد من ربه ، وبـه تُغْفَرُ الـذنوب وتُكَفَّـرُ السيئـات ، وتُـزادُ الحسنات ، وتُرْفَعُ الدرجات ، وعندما يبعث الناس من قبورهم يكون صاحبه من المقربين الأخيار ، ذلك العمل هو الصوم .

الصوم ينشىء التقوى في القلوب : -

وعندما ننعم النظر فيما ورد فيه ندرك كل هذا واضحاً جليا، انظر إلى قوله تعالىٰ: ﴿**يَا أَيُّها الّذين آمنُوا كُتِبَ عَليكُمُ الصِيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمُ تَتَّقون**﴾ [البقرة ١٨٣] . تعلم أن الله فرض علينا الصوم لينبت التقوى في قلوبنا ، والله إنما يكرم العباد لتقواهم ، فهو سبحانه لاينظر إلى صور العباد وأشكالهم بل إلى قلوبهم التي هي محل التقوى ، وأعمـالهم

القائمة على أساس من التقوى ، ولذلك كان التفاضل عند الله بها ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أَتْقاكُمْ ﴾ [الحجرات : ١٣] .

وهذه الغاية المرادة بالصوم هي الغاية من العبادات جميعا ، كما نصَّ الله تعالى على ذلك بعد أمره للناس جميعا بعبادته وحده : ﴿ يا أَيُّها النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ والَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُون ﴾ وهذه التقوى هي التي يعبأ الله بها من أعمالنا ﴿ لَنْ يَنالَ اللهَ لُحُومُها ولا دِماؤُها ولَكِنْ يَنالُهُ التَّقْوى مِنْكُمْ ﴾ [الحج : ٣٧] .

وحقيقة التقوى أن يعرف العبد ربه بأسمائه وصفاته ، يعرف عظمته وقهره وجبروته وقدرته فيخاف منه ويفزع ، فيحاذر أن يقع في معصيته ، ويعرف رحمته ومغفرته ونعمه التي لا تحصىٰ ، وما أَعَدَّهُ لعباده المؤمنين فإذا به يسارع إلى رضاه ، ولا ينال العبد ذلك إلا بالمداومة على الطاعة وإقامة الفرائض والازدياد من النوافل ، وفق ما أمر به الله ، وعمل به الرسول عليه السلام ، وما أحسن ما فسر به طلق بن حبيب التقوى حيث يقول : « التقوى أن تعمل بطاعة الله على نور من الله ترجو ثواب الله ، وأن تبتعد عن معصية الله على نور من الله تخاف عقاب الله » . وسبيلها الاحسان . . « أن تعبد الله كأنك تراه فإن لم تكن تراه فإنه يراك » . وقد حكم القرآن على الطائفة التي اتصفت بصفة

التقوى أنها الطائفة المفلحــة ، قال تعالى في حقها : ﴿ **أولئِكَ على هُدىً مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولئِكَ هُمُ المُفْلِحون** ﴾ .[البقرة : ٥] .

والصيام بما فيه من استجابة لأوامر الله ، ومسارعة لرضاه ، وترك لمحبوبات النفوس ومطلوباتها بدون رقابة سوىٰ رقابة الله ، ينشىء التقوىٰ في القلوب ، وبصلاح القلوب تصلح الأعمال ، وبصلاح القلوب والأعمال تصلح الأمـة التي جعلها الله قـائدة لركب الانسانية وهادية إلى سبيل الرشاد .

الصائم يُوَفَّى أجره بغير حساب : ـ

ولما كان الصوم سراً بين العبد وربه ـ إذ لايطلع على صدق العبد في هذا غير خالقه ـ كان الثواب والأجر عليه لايدخل تحت القاعدة التي يحاسب الناس بها « الحسنة بعشر أمثالها » كما يقول عليه السلام.رواه البخاري .

إنما الذي يقدر أجر الصـائم هو الله وحـده ، يقول عليـه السلام فيما يرويه عن ربه : « كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به » حديث قدسي رواه البخاري في صحيحه ؛ ذلك أن الصوم من الصبر ، والصابـرون يُوَفَّـوْنَ أجورهم بغيـر حساب، **وكان السلف يسمون شهر الصوم شهر الصبر.**

الصيام يمنع من الذنوب : -

والصيـام جنة ووقـاية يقي العبـد الـذنـوب والمعـاصي ، والبغيض من الكلام والسيء من الفعال ، وبذلك يتقي العبـد النار ، يقول الرسول ﷺ : « والصيام جنة ، وإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث ولا يجهل ولا يصخب » . رواه البخاري .

والرفث : الفاحش من الكـلام ، والنهي عن الجهل نَهْيٌ عن أفعال أهل الجهل ، كالصياح والسفه والتعدي ، فالصيـام حصن منيع ، يحصن الانسان من الشيطان وخطواتـه ، ويمنع صاحبه من أن ينزلق في الأقذار والأرجاس ويبالغ الرسول ﷺ في توجيه الصائم إلى الأمثل والأفضل حين يأمره بأن لايرد السيئة بمثلها إذا ما أسيء للقائم بالصيام يقول عليـه السلام : « وإن امـرؤ قاتله - أي الصـائم - أو شاتمـه فليقـل إني امـرؤ صـائم مرتين . » البخاري .

وبـذلك يتبين لنـا مدى الخـطأ الـذي يقـع فيـه كثيـر من المسلمين باعتقادهم أن الصوم يبرر الخطأ ، وضيق الصدر ، فكم سمعنا من قائل يقول لمن أصابه ضرر من أحد الصائمين : دعه فإنه صائم ، وهذا خطأ بين فاحش ناشىء من الجهل بدين الله .

حكمة بالغة للناظر المعتبر : -

في خلال العام يتعود الجسم على وجبات معينة من الطعام يتناولها وهو يطلب الماء كلما أحس بحاجة إليه ، وهو يواقع زوجته في الأوقات التي أباحها الله ، وهذا الألف متى طال أمده فإنه يعبد الانسان لهواه وشهوته وينسيه الغاية التي خلقه الله من أجلها ، والتي من أجلها أوجد الله له الطعام والشراب كي يستعين به على طاعة الله ، فإذا أصبحت الأمور من طعام وشراب ونكاح همَّ العبد وشاغله ، أسرته وأذلته وصار عبداً لها ، وبذلك يتحقق فيه قول الرسول ﷺ : « تَعِسَ عَبْدُ الدينار ، تَعِسَ عَبْدُ الدرهم ، تَعِسَ وانْتَكَسَ ، وإذا شَيْكَ فَلا انتقَشَ » . وما أحسن ما قاله العلامة المناوي في كتابه فيض القدير موضحا هذه الحكمة : « إنما شرع الصوم كسراً لشهوات النفوس ، وقطعا لأسباب الاسترقاق والتعبد للأشياء ، فإنهم لو داوموا على أغراضهم لاستعبدتهم الأشياء ، وقطعتهم عن الله ، والصوم يقطع أسباب التعبد لغيره ، ويورث الحرية من الرق للمشتهيات ، لأن المراد من الحرية أن يملك الأشياء ولا تملكه ، لأنه خليفة الله في ملكه ،[1] فإذا ملكته فقد قلب

---

(١) انظر كتاب « تيسير العلي القدير لاختصار تفسير ابن كثير » (١ : ٣٩) لتقف على المعنى الحقيقي لقوله تبارك وتعالى : ﴿ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ .

الحكمة ، وصَيَّرَ الفاضل مفضولاً والأعلىٰ أسفلاً ، ﴿ أَغَيْرَ اللهِ أَبْغيكُمْ وَهُوَ فَضَّلَكَمْ عَلىٰ العَالَمِينَ ﴾ والهوىٰ إلـٰهٌ معبودٌ ، والصوم يورث قطع أسباب التعبد لغيره » . انتهى كلام المناوي .

ففي هذا الشهر يخرج الانسان على إلفه وعادته ومحبوبات نفسه ، وتغيير هذا الإلف والعادة وإن كان يشق على النفس ، فإنه ينفعها ويفيدها ﴿ وَعَسَىٰ أَنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَهُوَ خيرٌ لَكُمْ ﴾ . ﴿ وَأَنْ تَصومُوا خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمون﴾ والصيام يقوي العزيمة ، ويفيد في التخلص من كثيرٍ من الأمراض الفتاكة ، فنرىٰ كثيراً من الأطباء يعالجون بعض الأمراض حتى المستعصية بالصوم وقد جرب التداوي بالصوم فنفع ذلك في كثير من الأمراض .

طيب ريح فم الصائم :

ومن عجائب الصوم وفضائله أنَّ ما يكرهه الناس من ريح فم الصائم ، يكون عند الله طيباً محبوباً ، « والذي نفسي بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك » حديث صحيح رواه البخاري .

باب خاص للصائمين في الجنة : -

ومن تكريم الله للصائمين أن خصَّهم الله سبحانه بباب خاص بهم لايدخل منه أحد غيرهم يقول عليه السلام : « إن في الجنة باباً يقال له الريان ، يدخل منه الصائمون يوم القيامة ، لايدخل منه أحدٌ غيرهم ، فإذا دخلوا أغلق ، فلم يدخل منه أحد » رواه البخاري ، ولما كان الصائم من **أشدّ** ما يعانيه العطش ، فقد سمى باب الصائمين باسم « الريان » للدلالة على ما سيصير إليه حالهم من الري .

شهر تفتح فيه أبواب الخير وتغلق أبواب الشر :

لذلك كان شهر رمضان خير الشهور ، والعمل فيه أفضل من العمل في غيره ، فإذا قدم هذا الشهر : « فتحت أبواب الجنة ، وفتحت أبواب السماء ، وأغلقت أبواب جهنم ، وسلسلت الشياطين » . رواه البخاري .

وسلسلة الشياطين حسم لمادة الشر ، وبذلك يتلمس القلب طريقه إلى النور والهدى بخلو المانع ، وهذا يفسر لنا السر في أَوْبَةِ كثيرٍ من الضالين في هذا الشهر .

بالصوم تغفر الذنوب المتقدمة : -

وكفىٰ الصائم أجراً ما بشره به الرسول ﷺ في الحديث

الذي يرويه البخاري في صحيحه : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » .

الغفران مشروط بشرطين : -

ولكن علينا أن ننتبه إلى قوله ﷺ : « ايماناً واحتساباً » فبدونهما لايستحق الصائم الأجر الذي بَيَّنَهُ المصطفى عليه السلام ، ذلك أن الايمان والاحتساب هما مدار الفرق بين العادة والعبادة فبدونهما يكون الصوم إرثا وتقليداً قلما يدفع صاحبه إلى الخير وقلما ينهاه عن الشر . فالذي يصوم لعلمه أن الله ربه فرض عليه الصيام ، ويستجيب لندائه وبذلك ينال المغفرة ، وتكفر عنه السيئات ، كما قال ﷺ : « الصلوات الخمس والجمعة إلى الجمعة ، ورمضان إلى رمضان ، مكفرات لما بينهن إذا اجتنبت الكبائر » رواه مسلم . أما ذلك الصائم لا إيمانا ولا احتسابا بل رياء أو عادة ، فلا ينفعه صيامه والله غني عن صومه . وقال ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه . » رواه البخاري والنسائي والترمذي وغيرهم . .

وبشرى للذين يصومون ايمانا واحتساباً فالعاقبة حميدة ، والقدوم على الله مفرح . « للصائم فرحتان يفرحهما ، إذا أفطر فرح بفطره ، وإذا لقي ربه فرح بصومه » حديث متفق عليه .

الفصل الثاني

فرض الصوم على أحوال

الآية التي أوجبت صوم رمضان : ـ

عندما نزل قوله تعالى : ﴿ يا أَيُّها الَّذينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيامُ كَمَا كُتِبَ على الَّذينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقونَ ﴾ أصبح الصوم مفروضا واجباً ، يؤكد الوجوب قوله تعالى : ﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذي أُنْزِلَ فِيِهِ القُرآنُ هُدَى للنَّاسِ وَبيِّناتٍ مِنَ الهُدى والفُرقانِ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ .

كيف كان الصوم قبل فرض رمضان : ـ

وقد كان الرسول ﷺ يصوم عاشوراء في مكة ، ـ كما رواه البخاري في صحيحه ـ فلما قدم المدينة جعل يصوم من كل شهر ثلاثة أيام ، كما رواه عنه الامام أحمد في مسنده ، وصام عاشوراء وقد وجد اليهود في المدينة يصومونه فسألهم عن سبب صيامهم له ، فقالوا : هذا يوم صالح نَجَّى الله فيه موسى من الغرق ، فقال الرسول ﷺ : « أنا أَحَقُّ بموسى منكم » . فصامه

وأمر بصيامه . رواه البخاري . وبذلك أصبح صيام هذا اليوم واجباً ، فقد روىٰ ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ صام عاشوراء وأمر بصيامه ، فلما فرض رمضان ترك . رواه البخاري .

ومعلوم أن الرسول ﷺ ترك صومه على سبيل الوجوب وبقي صيامه مستحباً . ومما يوضح الوجوب ما رواه البخاري عن الربيع بنت معوذ أن النبي ﷺ بعث غداة عاشوراء إلى قرى الأنصار : « من أصبح مفطرا فليتم بقيه يومه ، ومن أصبح صائما فليصم » قلت : فكنا نصومه ونُصَوِّم صبياننا . رواه البخاري .

الصوم بعد فرض رمضان : ـ

وعندما نزل الأمر بصيام رمضان رخص الله لمطيقي الصيام ويرغبون في الفطر أن يفطروا ويطعموا عن كل يوم مسكيناً واتبع ذلك بذكر أفضلية الصوم . روىٰ البخاري عن ابن أبي ليلى قال : حدثنا أصحاب محمد ﷺ : نزل رمضان فشق عليهم ، فكان من أطعم مسكينا ترك الصوم ممن يطيقه ، ورخص لهم في ذلك . وهذا معنىٰ قوله تعالى : ﴿ **وَعَلىٰ الَّذينَ يُطيقونَهُ فِدْيةُ طَعَامُ مِسْكينَ فَمَنْ تَطوَّعَ خيراً فَهُوَ خَيْرٌ لَهُ وَأَنْ تَصوموا خيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمون** ﴾ ثم نسخ الله جواز الإطعام بالنسبة للقادرين وأوجب عليهم الصيام . روى البخاري ذلك عن ابن أبي ليلىٰ ،

ومن الصحابة عن ابن عمر وسلمة بن الأكوع . والآية الناسخة هي قوله تعالى : ﴿ فَمَنْ شَهِدَ مِنْكُمُ الشَهْرَ فَلْيَصُمْهُ ﴾ . وبذلك أصبح صيام رمضان واجباً ، وركنا من أركان الاسلام ، فقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « بني الاسلام على خمس : شهادةُ أن لا إلـه إلا الله ، وأن محمداً رسـول الله ، وإقام الصـلاة ، وايتاء الزكاة ، وحج البيت وصوم رمضان » . متفق عليه .

وعن طلحة بن عبيد الله أن أعرابياً جاء إلى الرسول ﷺ ثائر الرأس ، فقال : يا رسول الله ! أخبرني ماذا فرض الله علي ؟ قال : « الصلوات الخمس إلا أن تتطوع شيئا » فقال : أخبرني ماذا فرض الله عَلَيَّ من الصيام ؟ فقال : « شهر رمضان الا أن تتطوع شيئا » رواه البخاري .

* * * *



الفصل الثالث

المدة التي يمسك فيها الصائم

الصوم الشرعي هو الامساك عن المفطرات من الطعام ، والشراب ، والوقاع ، بنيَّة من طلوع الفجر إلى غروب الشمس ، ثم يباح ذلك كله طوال الليل ، وقد كانت المفطرات مباحة في أول الاسلام من غروب الشمس حتي ينام الصائم ، فإذا نام حَرُمَ عليه الطعام والشراب والوقاع حتى غروب اليوم التالي ، وقد شق ذلك على بعض الصحابة ، فقد روى البخاري عن البراء بن عازب ، قال : كان أصحاب محمد ﷺ إذا كان الرجل صائماً ، فحضر الافطار فنام قبل أن يفطر ، لم يأكل ليلته ولا يومه حتى يمسي وإنَّ قيس بن صرمة الأنصاري كان صائما ، فحضر الافطار أتى امرأته فقال لها : أعندك طعام ؟ قالت : لا ، ولكن انطلقُ فاطلبُ لَكَ ، وكان يومه يعمل فغلبته عيناه ، فجاءته امرأته فلما رأته قالت : خيبةً لك ، فلما انتصف النهار غشي عليه ، فذكر ذلك للنبي ﷺ فنزلت هذه الآية : ﴿ **أُحِلَّ لَكُمْ لَيْلَةَ الصِّيامِ الرَّفَثُ إلىٰ نسائِكُمْ** ﴾ ففرحوا بها فرحاً شديداً ، ونزلت : ﴿ **وَكُلُوا واشْرَبُوا حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأَبْيَضُ مِنْ الخَيْطِ الأَسْوَدِ**

مِنَ الفَجْرِ ﴾ فاستقر الأمر على تحريم الطعام والشراب والوقاع من تبين الفجر إلى الليل ، وإباحته طوال الليل بعد أن كان يحرم بالنوم . والمقصود بالخيط الأبيض والخيط الأسود : سواد الليل وبياض النهار ، لأن الله تبارك وتعالى قال بعد ذلك ﴿ مِنَ الفَجْرِ ﴾ وعليه يدل الحديث الذي يرويه البخاري عن عدي بن حاتم قال : لما نزلت ﴿ حتَّى يَتَبَيَّنَ لَكُمُ الخَيْطُ الأبيضُ مِنَ الخيْطِ الأسودِ مِنَ الفَجْرِ ﴾ عمدت إلى عقال أسود وإلى عقال أبيض ، فجعلتهما تحت وسادتي ، فجعلت أنظر في الليل فلا يتبين لي ، فغدوت على رسول الله ﷺ فذكرت ذلك كله فقال : « إنما ذلك سواد الليل وبياض النهار » ولذلك يقول الرسول ﷺ في الحديث الذي ترويه عائشة رضي الله عنها : « كلوا واشربوا حتى يؤذن ابن أم مكتوم ، فإنه لا يؤذن حتى يطلع الفجر » رواه البخاري .

ويستمر الصائم ممتنعا عن الطعام والشراب حتى تغيب الشمس كما روىٰ البخاري من قوله ﷺ : « إذا أقبل الليل من هنا فقد أفطر الصائم » .

وروىٰ أيضا عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه كان يفطر حين يغيب قرص الشمس .

وأمر الرسول ﷺ بتعجيل الفطر ، ففي الحديث المتفق عليه من حديث سهل بن سعد يقول الرسول عليه السلام : « لا يزال

الناس بخير ما عجلوا الفطر » وقد كان الرسول ﷺ يعجل الفطر ، روى ابن أبي أوفىٰ رضي الله عنه ، قال : كنا مع الرسول ﷺ في سفر فقال لرجل : « انزل فاجدح لي » قال : يا رسول الله ! الشمس . قال : « انزل فاجدح لي » قال : يا رسول الله ! الشمس . قال : « انزل فاجدح لي » فنزل فجدح له ، فشرب ، ثم رمىٰ بيده هاهنا ، ثم قال : « إذا رأيتم الليل أقبل من هنا ، فقد أفطر الصائم » . رواه البخاري .

وروى ابن حبان والضياء بسند صحيح أن الرسول عليه السلام قال : « إنا معشر الأنبياء أُمرنا بتعجيل فطرنا ، وتأخير سحورنا ، وأن نضع أيماننا على شمائلنا في الصلاة » .

أما تأخير الفطر حتى تطلع النجوم ، أو إلى ما بعد ذلك ، فهو مخالف للسنة المحمدية ، وليس من التقوىٰ التي يقتضيها الصيام ، وهو من التنطع في الدين ، وتكلفٌ منهيٌ عنه .

ويحسن بالصائم أن يعجل الفطر على تمر ، فإن لم يجد فماء في أول وقت الفطر ، ثم يبادر إلى صلاة المغرب في أول الوقت ، فيجمع بين الحسنيين ، تعجيل الفطر ، وتعجيل المغرب ، أما تأخير المغرب إلى ما بعد تناول العشاء فليس من السنة .

صيام الصبيان وتأديبهم

ومن المعروف أن مناط التكليف في الاسلام ، البلوغ مع

الرشد للرجال والنساء ، ولكن علىٰ أولياء الأمور أن يرعوا أبناءهم في صغرهم ، ويربوهم على تحمل تكاليف الاسلام حتى تسهل على نفوسهم وينشأوا على حبها ويداوموا عليها ، وقد صح عن النبي ﷺ أنه قال : « مروا أبناءكم بالصلاة وهم أبناء سبع سنين ، واضربوهم عليها وهم أبناء عشر سنين ، وفرقوا بينهم في المضاجع » رواه أبو داود باسناد حسن . ورواه الترمذي بلفظ : « علموا الصبي الصلاة لسبع سنين واضربوه عليها ابن عشر سنين » .

وقد كان الرسول عليه السلام والصحابة يقومون بتربية الناشئة على الأدب الكريم ، وعلى التزام أحكام الاسلام ، فقد رأىٰ الرسول عليه السلام غلاما تطيش يده في الصحفة أثناء الطعام ، وكان يأكل مع الرسول ، فقال له الرسول عليه السلام معلما مؤدبا : « يا غلام ! سم الله ، وكل بيمينك ، وكل مما يليك » .

ويبقىٰ أثر هذا التأديب في نفس الغلام ما دام حيا ، استمع إليه وهو يقول ـ أعني الغلام ـ : فما زالت تلك طعمتي بعد . رواه البخاري ومسلم .

وروىٰ البخاري عن الربيع بنت معوذ رضي الله عنها قالت : كنا نصوِّمُ صبياننا ، ونجعل لهم اللعبة من العهن فإذا بكى أحدهم على الطعام أعطيناه ذلك حتى يكون عند الافطار .

فهكـذا تربيـة الرسـول ، وكذلـك رَبَّ الصحابـة الكـرام أبناءَهم ، فخرجت أجيال مسلمة تنشر الخير في ربوع الأرض ، وعاشت بالاسلام وللاسلام ، أما أن نترك أبناءنا وبناتنا يقضون أوقاتهم في الطرقات وفي منابت السوء ، ينشأون على الفاسد من الأخـلاق والذميم من الأفعـال ، فيشتد عـودهم عـلى ذلـك ، وتشحن قلوبهم وتُشغل بغير الاسلام ، ثم نريدهم بعد بلوغهم سن الـرشد مسلمـين يعملون بالاسـلام ويـدعـون إليـه فـإنهم لايستجيبون لنا ، ولا يلقون بالاً لحديثنا ، ويكون مثلنا كمثل من يريد أن يجني من الشوك العنب ، ونقضي بعد ذلـك الوقت في الحسرة والندم إذا ابتعد شباب الاسلام عن الاسلام ، وضلوا في منحنيـات الطريق ، والحق أن السبب الأول المسؤول عن بُعْـدِ الشبيبـة عن الاسـلام هم الآبـاء والأمهـات وأوليـاء الأمـور ، والعجب كـل العجب أن يبحث الأب لأبنائـه عن خـير لبـاس وأفضل طعام وأهنأ سكن ثم لايبحث لهم عن المربي الفاضل ، ولا يلقنهم الصحيح من الاخلاق والأفعال ، جاهلا أو متجاهلاً أنه بذلك يلقي بفلذة كبده في نار مستعرة لا تخبو ، وقودها النـاس والحجارة ، فأين الرحمة ، وأين الشفقة ، وأين الحنان : ﴿ **يا أيُّهَـا الَّذيْنَ آمَنـوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وأهْلِيكُمْ نَـاراً وَقُـودُهـا النَّـاسُ والحِجَارةُ عَلَيْها مَلآئِكةٌ غِلاظٌ شِدادٌ لا يَعْصُـون الله مآ أَمَـرَهُمْ وَيَفْعَلونَ ما يؤمَرون** ﴾ .

وليعلم الحكام والآباء ان الله سائلهم عن كل ذلك يوم القيامة ، روىٰ البخاري ومسلم عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته : الامام راع ومسئول عن رعيته ، والرجل راع في أهله ومسئول عن رعيته ، والمرأة راعية في بيت زوجها ومسئولة عن رعيتها ، والخادم راع في مال سيده ومسئول عن رعيته ، وكلكم راع ومسئول عن رعيته » .

فأبناؤكم أمانة في أعناقكم فعلموهم الاسلام ، وأدبوهم بأدبه ، وعرفوهم بربهم ورسولهم ، وربوهم على الصلاة وعودوهم الصوم ، وعرفوهم القرآن وتلاوته ، وصلوهم بربهم فهو خير لكم إن كنتم تعلمون .

الاعذار المبيحة للفطر

الفرق بين تشريع وتشريع : -

إن الفرق بين تشريع البشر وتشريع خالق البشر ، كالفرق بين البشر وبين خالقهم ، فلذلك يأتي تشريع الناس للناس تشريعا ناقصاً معوجاً ، مفرطاً حيناً ومفرّطاً أحيانا ، يصيب الحقيقة مرة ويخطئها مرات لا تحصى ، ذلك لأن البشر يتصفون

بصفات النقص ، ﴿ واللهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهاتِكُمْ لا تَعْلَمونَ شيئاً ﴾ ، وعِلْمُهُمُ الذي يدركونه فيما بعد علم جزئي محدود ، يحتاج دائماً إلى تغيير وتحويل وتبديل وتطوير ، أما تشريع الله فهو تشريع كامل كاف عادل ، لأن الله يتصف بصفات الكمال ، فهو العليم الذي يشرع للبشر ما يصلحهم ، وينهاهم عما يفسدهم ، بناء على علمه المحيط الشامل ، وهو عادل لايشرع لحساب طبقة من الناس دون أخرى ، بل الناس سواسية في ميزان الحق ، يتفاضلون بالتقوىٰ والعمل الصالح ، وهو الحكيم الذي يضع الأمور في مواضعها ، فلذلك جاء تشريعه وافياً باحتياجات الانسان مصلحاً لحياته ، مقوماً لاعوجاج نفسه ، مراعياً مع ذلك ضعفه وبشريته ، وما يطرأ عليه من أحوالٍ تؤثر فيه .

الرخصة للمريض والمسافر في الفطر : ـ

وهكذا نجد الله تبارك وتعالى يرخص لنا في الفطر في حال السفر والمرض علىٰ أن نقضي عدة الأيام التي افطرناها بعد انقضاء رمضان بعد أوبة المسافر وبرء المريض ، ﴿ فَمَنْ كَانَ مِنْكُمْ مَرِيضاً أَوْ عَلىٰ سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِنْ أيامٍ أُخَرٍ ﴾ ونلمح السماحة واليسر في هذا التشريع واضحاً جلياً في هاتين الحالتين ﴿ يُرِيدُ اللهُ بِكُمُ اليُسْرَ ولا يُرِيدُ بِكُمُ العُسْرَ ﴾ وإن وجد المسافر قدرة

على الصيام وأحب ذلك فله أن يصوم ، فقد روىٰ البخاري عن عائشة رضي الله عنها أن حمزة بن عمرو الأسلمي قال للنبي ﷺ : أأصوم في السفر ؟ وكان كثير الصوم ، قال : « إن شئت فصم وإن شئت فأفطر » . وهكذا كان الرسول عليه السلام وصحابته يصومون في السفر ويفطرون ، روىٰ ابن عباس : « أن الرسول عليه السلام عندما خرج إلى مكة صام حتى بلغ الكديد ، افطر فأفطر الناس » . رواه البخاري .

وإذا كان الصوم يشق على الإنسان في السفر وأحب أن يصوم فله ذلك إن لم يمنعه عن القيام بما يجب عليه من أعمال ، روىٰ البخاري عن أبي الدرداء قال : خرجنا مع النبي ﷺ في بعض أسفاره في يوم حار حتى يضع الرجل يده على رأسه من شدة الحر ، وما فينا صائم إلا ما كان من النبي ﷺ وابن رواحة . رواه البخاري . فان أدىٰ الصيام بالمرء إلى إضعاف قواه وإنهاكها واحتياجه إلى غيره في أموره ، فالأفضل في حقه الفطر ، فقد كان النبي ﷺ في سفر ورأى زحاماً ورجلاً قد ظلل عليه ، فقال : « ما هذا؟ » فقالوا : صائم ، فقال : « ليس من البر الصوم في السفر » رواه البخاري .

وروىٰ البخاري عن ابن عباس رضي الله عنه قال : خرج النبي ﷺ في رمضان والناس صائم ومفطر ، فلما استوى على راحلته دعا باناء من لبن وماء فوضعه على راحلته ثم نظر الناس .

وفي رواية أخرى له عن ابن عباس : ثم دعا بماء فشرب نهاراً ليراه الناس . ولمسلم عن جابر - رضي الله عنه - أن الرسول ﷺ قيل له : إن الناس شق عليهم الصيام ، وإنما ينظرون فيما فعلت فدعا بقدح من ماء بعد العصر .

وله من وجه آخر عن جعفر : ثم شرب ، فقيل له بعد ذلك : إن بعض الناس قد صام ، فقال : « أولئك العصاة » .

وهذا يدلنا على أن للمسافر أن يفطر في أثناء النهار ولو استهل رمضان في الحضر ، والحديث نَصٌّ في الجواز ، إذ لا خلاف في أن الرسول ﷺ استهل رمضان في عام غزوة الفتح وهو بالمدينة ثم سافر في أثنائه ، وقد كان الرسول ﷺ يعزم على أصحابه أن يفطروا في السفر في الجهاد عند القرب من العدو ، فقد روى مسلم عن أبي سعيد : سافرنا مع رسول الله ﷺ إلى مكة ونحن صيام فنزلنا منزلا ، فقال النبي ﷺ : « إنكم قد دنوتم من عدوكم والفطر أقوى لكم فأفطروا » . فكانت رخصة فمنا من صام ، ومنا من أفطر فنزلنا منزلا فقال ﷺ : « إنكم مصبحو عدوكم فالفطر أقوى لكم فأفطروا » فكانت عزيمة فأفطرنا ، ثم لقد رأيتنا نصوم مع رسول الله ﷺ في السفر. وهذا السبب الذي من أجله نسب الرسول ﷺ الصائمين إلى العصيان حين عزم عليهم فخالفوا .

نوع السفر والمـرض اللذين يباح الفطر بهما : -

يجب أن نعلم أن المرض الذي يجوز الفطر به هو المرض الذي يزيد بالصوم ، أو يتأخر برؤه به ، أما المرض الذي لايؤثر فيه الصوم فلايجوز لصاحبه الفطر .

الصيام بعد تيسر سبل المواصلات : .

وقد يتوهم بعض الناس أن الفطر في هذه الأيام في السفر غير جائز أو أنه خلاف الأولىٰ ، بسبب تيسر المواصلات ، وتوفر سبل الراحة فيها ، فهؤلاء نذكرهم بقول الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا ﴾ وبقوله : ﴿ والله يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لا تَعْلَمون ﴾ . فتشريع الله للناس تشريع دائم لا يختص بجزء من الأمة دون بقية الأمة ، ولا بزمن دون زمن ، ولا بمكان دون مكان ، ذلك أنَّ منزل هذا الشرع هو خالق الانسان والزمان والمكان ، العليم الخبير الذي يعلم حاجة الناس وما يصلحهم وما يصلح لهم ، وقد يوضح هذا الأمر ما نشره بعض الباحثين الخبراء ، من أن انتقال الجسم المفاجىء السريع من بلد إلى بلد ، له تأثير سيء على الجسم ، وقد يفقد الانسان قواه لحين من الوقت ، ويؤثر على حواسه ، أسوق هذا لنعلم أنه قد يكون وراء تشريع الله من الحِكَم ما لانعرفه ثم قد يتكشف لنا أو لا يتكشف ، فلا يجوز أن

نخضع أحكام الله لآرائنا وعقولنا ، بل يجب أن يكون موقفنا كما قال الله تعالى : ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ ولا مُؤْمِنَةٍ إذا قَضَىٰ اللهُ ورَسُولُهُ أمراً أَنْ يكونَ لَهُمُ الخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ .

الحائض والنفساء : -

ومن الذين رَخَّص الله لهم في الفطر في رمضان الحائض والنفساء ، ولكن يجب عليهما الفطر ولا يباح لهما الصوم بحال حتى تطهرا ، فمتى طهرتا صامتا ، وقد صح عن النبي ﷺ من حديث عن أبي سعيد الخدري : « أليس إذا حاضت لم تصم ، ولم تصل ؟ ! فذلك نقصان دينها » رواه البخاري .

ورواه مسلم من حديث ابن عمر : « تمكث الليالي ما تصلي ، وتفطر في رمضان ، فهذا نقصان في الدين » .

وعلى الحائض والنفساء قضاء عدة ما أفطرتاه بعد انقضاء رمضان .

الحامل والمرضع : -

وممن يلحق بالمريض الحامل والمرضع إذا خافتا على نفسيهما أو ولديهما ، أو شق عليهما الصوم فلهما الفطر وعليهما قضاء عدة ما أفطرتاه ، فعن أنس بن مالك الكعبي ، قال:قال

رسول الله ﷺ : « إن الله وضع عن المسافر شطر الصلاة ، والصوم عن المسافر وعن المرضع والحبلى » . قال صاحب مشكاة المصابيح : رواه أبو داود ، والترمذي والنسائي وابن ماجه ، وقال المحقق (الشيخ ناصر الدين الألباني) : اسناده جيد .

وحصل الخلاف بين العلماء هل عليهما شيء آخر غير القضاء ؟ فمن العلماء من أوجب أن يُطعما مسكينا عن كل يوم أفطرتاه ، ومن ذهب إلى وجوب الاطعام مع صيام عدة الأيام فليس لديه دليل يوجب الاطعام .

الكبير الهرم والمريض المزمن : -

ويلحق بالمريض أيضا الشيخ الكبير الذي لايستطيع الصوم ، ولكن لايجب عليه القضاء ولا على المريض الذي لايرجى بُرؤه ، لأنهما لايصيران إلى حال تمكنهما من الصيام ، وهل يجب عليهما الاطعام عدة الأيام . صح النقل بذلك عن ابن عباس ورواه البخاري عن أنس من فعله إذ كان يفطر لكبره ويطعم عن كل يوم مسكينا .

من أكل أو شرب ناسيا فليتم صومه

الانسان مخلوق ضعيف ؛ ولذلك يقع منه الخطأ أحيانا ،

ويتنكب جادة الصواب أحيانا أخرى لتغلب هوى النفس ، والله يعلم ذلك من الانسان وفي ذلك قال : ﴿ وخُلِقَ الإنْسانُ ضَعِيفاً ﴾ وقد يقع الخطأ من الصائم فيأكل أو يشرب ناسيا ولا إثم عليه في ذلك لقول الرسول ﷺ : « إن الله عفا لي عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » . ولايفسد صومه بهذا النسيان . يقول عليه الصلاة والسلام : « إذا نسي فأكل وشرب فليتم صومه ، فإنما أطعمه الله وسقاه » . رواه البخاري .

أما مَنْ غَلَبَتْهُ شهوته فأفطر متعمداً فقد أتىٰ جرماً عظيماً ، وإن كان الفطر بجماعٍ فعليه الكفارة ، روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : بينما نحن جلوس عند رسول الله ﷺ إذ جاءه رجل ، فقال : يا رسول الله ! هلكت وأهلكت ، قال : « مالك ؟ » قال : وقعت على أهلي في رمضان ، فقال رسول الله ﷺ : « هل تجد رقبة تعتقها؟» قال : لا . قال : « فهل تستطيع أن تصوم شهرين متتابعين ؟ » قال : لا ، قال : « فهل تجد إطعام ستين مسكينا ؟ » قال : لا ، قال:فمكث النبي ﷺ ، فبينما نحن على ذلك أتىٰ النبي بعرق فيه تمر ـ والعرق : المكتل ـ قال : « أين السائل ؟» فقال : أنا ، قال : « خذها فتصدق بها » فقال : على أفقر مني يا رسول الله ؟ فوالله ما بين لابتيها ـ يريد الحرتين ـ أهل بيت أفقر من بيتي . فضحك النبي ﷺ حتى بدت أنيابه ، ثم قال : « أطعمه أهلك » رواه البخاري ، فهذه القصة

التي وردت في هذا الحديث تبين كفارة الجماع في رمضان .

أما من أفطر بطعام أو شراب متعمداً فليس عليه كفارة الجماع خلافا لمن يرى ذلك من العلماء ، والذي يدعونا إلى القول بهذا عدم وجود الدليل الموجب للكفارة بعمد الطعام والشراب ، وقياسه على الجماع قياس مع الفارق مع أن القياس في العبادات لايجوز .

ولكن هل يقضي من أفطر متعمداً بجماع أو غيره يوماً مكانه أم لا؟ بلزوم القضاء ، قال سعيد بن المسيب ، والشعبي ، وابن جبير ، وإبراهيم ، وقتادة ، وحماد ، وعن أبي هريرة يرفعه : «من أفطر في رمضان من غير عذر ولا مرض لم يقضه صيام الدهر وإن صامه به» رواه البخاري تعليقاً[1] ، وقد صح أن الرسول ﷺ قال لمن جامع في رمضان : «وصم يوماً واستغفر الله»[2] وغير الجماع من مباشرة وتقبيل لا تفسد الصوم فهذه عائشة رضي الله عنها تروي لنا أن النبي ﷺ كان يقبل ويباشر وهو صائم ، وكذلك روت أم سلمة أن الرسول ﷺ كان يفعل ذلك ، رواه البخاري .

---

(١) رواه البخاري تعليقا غير مجزوم ، وقال الترمذي : سمعت محمدا - يعني البخاري - يقول : أبو المطوس اسمه يزيد بن المطوس ولا أعرف له غير هذا الحديث . انتهى . وقال البخاري أيضا : لا أدري سمع أبوه من أبي هريرة أم لا . وقال ابن حبان : لايجوز الاحتجاج مما انفرد به والله أعلم .
الترغيب والترهيب (٢ : ٢٢٣) - ورمز فضيلة الشيخ محمد ناصر الدين الألباني بالضعف لهذا الحديث في تخريجه للترغيب .

(٢) انظر: فتح الباري : (١٧٢/٤) وإرواء الغليل : (٩٠/٤)

أما من جامع في رمضان فطلع عليه النهار ولم يغتسل فصيامه صحيح . روى البخاري عن عائشة أن النبي ﷺ كان يدركه الفجر في رمضان وهو جنب من غير حلم فيغتسل ويصوم .

ويجوز للصائم المضمضة والاستنشاق ، والاغتسال والتطيب والتكحل .

وقد أمر الرسول ﷺ بالسواك عند كل صلاة ، ورغب في الاكثار من استعماله ولم يأت دليل يخصص رمضان ، وينهى عن استعمال السواك فيه ، وقد يحتج بعض من يرى عدم جواز استعمال السواك بالحديث الذي يرويه البخاري : « ولخلوف فم الصائم عند الله أطيب من ريح المسك » ، بحجة أن السواك يذهب هذا الخلوف ، ويكفي في الاجابة على هذا الزعم عموم الأحاديث التي تحث على الاستياك دون تحديد لزمن معين مع العلم أن هذه الرائحة ، مصدرها المعدة لا الفم والاسنان ، وبذلك يثبت جواز استعمال السواك في رمضان بل استحبابه ، وقد يفرق بعضهم فيجيز استعماله قبل الزوال ، ويكرهه أو يمنعه بعد الزوال وهذا تفريق بغير مفرق يدل على التفريق ، وكذلك يقال بالنسبة للمضمضة والاستنشاق ، لأن الرسول ﷺ فعل ذلك وأمر بالاستنشاق بدون تفريق بين رمضان وغيره ، وقال الحسن البصري : لا بأس بالمضمضة والتبرد للصائم ، وقال ابن مسعود : إذا كان يوم صوم أحدكم فليصبح دهينا مترجلا . ولم يَرَ

أنس والحسن وإبراهيم بالكحل بأسا للصائم،روى ذلك عنهم البخاري في صحيحه ، فإن دخل الماء إلى حلق الصائم بدون أن يملك لـه دفعاً فـلا شيء عليه ، روى البخـاري ذلـك عن عطاء ، وصح عن الرسول ﷺ أنه قال : « إن الله عفا لي عن أمتي الخطأ والنسيان » . وأما القيء فيرى أبو هريرة أنه لايفطر الصـائم ، لأنـه يخـرج ولايـولـج ، وبهـذا يقـول ابن عبـاس وعكرمة ، ويرى فريق آخـر من العلماء أن القيء عمـداً يفطر الصائم بخلاف من غلبه القيء فقاء وهذا هو الصحيح .

أما الحجامة فنهى الرسول ﷺ عنها ، ثم رخص فيها ، فعن أنس قال : أول ما كرهت الحجامة للصائـم أن جعفر بن أبي طالب احتجم وهو صائم فمر به النبي ﷺ فقال : « أفطر هذان » ثم رخص بعد في الحجامة فكان أنس يحتجم وهو صائم رواه الدار قطني . وذكر البخاري عن أنس أنه سئل : أكنتم تكرهون الحجامة للصائم ؟ فقال : لا .

والحجامة استخراج الدم الفاسد طلبًا للاستشفـاء بجرح الرأس ثم يمص هذا الجرح من قبل الحاجم .

وصـح عن الـرســول ﷺ من روايــة ابن عبــاس أنــه احتجم وهو صائم ، وذكر البخاري عن سعد وزيد بن أرقم وأم سلمـة أنهم احتجموا صيـاما ، وذكـر عن بكير عن أم علقمـة قالت : كنا نحتجم عند عائشة فلا تنهى .

صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته

كان من حكمة الله أن جعل التعرف على بداية الشهر القمري الذي تُبنىٰ عليه الأحكام الشرعية ، مستطاع لجميع الأمة ، لا يختص بجماعة دون جماعة ، كما هو الحال في الشهور الشمسية ، وبذلك يأمن المسلمون من التلاعب بالأحكام المتعلقة بالشهور ، ويأمنوا من البلاء الذي وقعت فيه الأمم الماضية ، إذ تلاعب العلماء والحكام منهم في الصوم بالتقديم والتأخيروالزيادة والتغيير ، فمتى رأى المسلمون هلال رمضان فعليهم الصوم ، ومتى رأوا هلال شوال فعليهم الفطر ، فإن حال دون الرؤية غيم أو غبار ، فعليهم أن يتموا العدة ثلاثين يوما ، روى البخاري عن ابن عمر رضي الله عنهما ، قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « لا تصوموا حتى تروا الهلال ، ولا تفطروا حتى تروه» وفي رواية له : « إذا رأيتموه فصوموا وإذا رأيتموه فأفطروا ، فإذا غم عليكم فاقدروا له » رواه البخاري . وفي رواية : « الشهر تسعة وعشرون ليلة ، فلا تصوموا حتى تروه ، فان غم عليكم فأكملوا العدة ثلاثين » .

وروى الدارقطني وأبو داود بسند صحيح عن ابن عمر رضي الله عنهما قال : تراءى الناس الهلال فأخبرت رسول الله ﷺ أنّي رأيته فصام وأمر الناس بصيامه .

ومن هذه الرواية نعلم أنه يكفي شهادة الواحد لاثبات دخول شهر رمضان وكذلك لاثبات دخول شهر شوال للفطر .

ووقع الخلاف فيما لو رأى المسلمون الهلال في قطر دون قطر فهل يجب على البلد الذي لم ير الهلال الصوم ؟ الصحيح ـ والله أعلم ـ القول بالوجوب لعموم الحديث : « صوموا لرؤيته وأفطروا لرؤيته » ، ويرى ابن عباس أنه لايصوم إلا القطر الذي رآه دون الذي لم يره ، روى ذلك مسلم والترمذي والنسائي وغيرهم عنه .

أفضل ما يشغل به الصائم نفسه

وصف الرسول ﷺ الصوم بأنه جُنَّة ، لأنه يقي الصائم النار ، وذلك لأن الصائم يمسك عن الشهوات التي حُفَّت بها النار علاوة على أن الصائم يترك محبوبات نفسه التي أحلها الله له في الصيام . فعليه أن يتخلى عن الرذائل والفواحش ، ويترك الناس من أذاه ، وعليه أن يتحلىٰ بالجميل من الصفات والحسن من الأخلاق ، والفاضل من الأعمال وبذلك يسلك الصوم بصاحبه سبيل التقوى حيث ينال مرضات الله .

أما أن يصوم العبد عما أحله الله في غير الصيام ، ويفطر عما حَرَّمَهُ عليه في رمضان وغير رمضان من قبيح الكلام ، وسفيه

الفعال ، وسماع الباطـل ، وحضور مجالس السوء فإنه بذلـك يدخل في وعيد رسول الله ﷺ : « من لم يدع قول الزور والعمل به ، فليس لله حاجة في أن يدع طعامه وشرابه » رواه البخاري .

وأفضل ما يشغل به الصائم نهاره : ذكر الله والتقرب إليه سبحانه بالتسبيح والتحميد والتكبير والتهليل ، فهذه هي الباقيات الصالحات التي يدوم نفعها ويبقى أجرها . وعلى الصائم أن يلح في طلب الغفران فإنه شهر فاضل وموسم من مواسم العبادة ، ومـوطن حَرِيٌّ أن يستجـاب فيه الـدعـاء ، خـاصـة إن اقتـرن الاستغفار والدعاء بقلب حاضر ، ونية صادقة صالحة ، وكـان الدعاء مشروعا لا عدوان فيه .

ومن أفضل الأعمال حضور مجالس العلم وحلقاته ، خاصة في بيوت الله ، فإنها مجالس مرحومة ، تتنزل عليها السكينة من الله ، وتغشاها رحمته وتحف بها ملائكته ، ويذكر الله أهلها في من عنده من الملائكة الكرام ، لأنها المجالس التي يدرس فيها كتاب الله ، وتبين فيها سنة رسول الله ﷺ .

وكثرة تلاوة القرآن وتدارسه في رمضان عمل شرعه رسول الله ﷺ ، وفعله الصحابة ، روى ابن عبـاس رضي الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ أجود الناس ، وكان أجود ما يكون في

رمضان ، حين يلقاه جبريل ، وكان جبريل يلقاه كل ليلة في رمضان حتى ينسلخ ، يعرض عليه النبي القرآن ، فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة » . رواه البخاري .

ويدل على استحباب الاكثار من قراءة القرآن في هذا الشهر ، أنه الشهر الذي أنزل فيه القرآن : ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ القُرآنُ هُدَىً لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الهُدى وَالفُرْقَانِ** ﴾ .

والاكثار من الصدقة في هذا الشهر أمر مرغوب فيه ، وحبذا لو أخرج الصُوَّام فيه زكاة أموالهم وخصوه بها دون غيره من الشهور ، لازدادوا خيرا على خير لأن الثواب فيه مضاعف .

تسحروا فإن في السحور بركة

السحور مشروع للصائم وقد ثبت عن الرسول ﷺ أنه قال : « تسحروا فإن في السحور بركة » رواه مسلم وغيره ، وكلما أخر السحور إلى آخر الليل كان أفضل ، لقول المصطفى ﷺ : «إنا معاشر الأنبياء أمرنا بتعجيل فطرنا ، وتأخير سحورنا» .

والسحور مما يميز صيامنا عن صيام أهل الكتاب ، ففي الحديث الذي يرويه عمرو بن العاص عن النبي ﷺ قال : «إن فصل ما بين صيامنا وصيام أهل الكتاب أكلة السحور» . رواه مسلم والنسائي وغيرهما .

على أي شيء يفطر الصائم

روى أنس بن مالك عن الرسول ﷺ أنه كان يفطر على رطبات قبل أن يصلي فإن لم تكن رطبات فتمرات ، فإن لم تكن تمرات حسى حسوات من ماء . رواه أحمد والترمذي وأبو داود .

وعن سلمان بن عامر الضبي قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا أفطر أحدكم فليفطر على تمر ، فإن لم يجد فليفطر على ماء فإنه طهور » رواه أبو داود والترمذي .

ويستحب للصائم أن يقول عند فطره ما رواه ابن عمر أن الرسول ﷺ كان يقول إذا أفطر : « ذهب الظمأ وابتلت العروق وثبت الأجر إن شاء الله » . أخرجه أبو داود والنسائي والدار قطني والحاكم .

النية في الصوم

النية في اللغة هي القصد وفي الاصطلاح الشرعي القصد إلى فعل الشيء تقرباً إلى الله تعالى . وبها يحصل التفريق بين العبادة والعادة ، وهي ضرورية لقبول الأعمال وصلاحها ، فلو أمسك إنسان عن الطعام والشراب والجماع من طلوع الفجر إلى غروب الشمس يقصد الاستشفاء ولم يقصد بذلك التعبد لله فلا يعتبر صائما شرعاً وليس له أجر على إمساكه .

فعلى الصائم أن ينوي بصيامه طاعة أمر الله تقربا إليه لنيل رضاه وخوف عقابه يقول ﷺ : « من صام رمضان ايمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه وما تأخر » رواه البخاري ، وروى أيضا الحديث القدسي : « يدع طعامه وشرابه وشهوته من أجلي » .

ويلزم الصائم في صيام الفرض تبييت النية من الليل لقول الرسول ﷺ : « من لم يبيت الصيام فلا صيام له » رواه الترمذي والنسائي وغيرهما . وتكون النية بعزم القلب ليلا على الصوم غدا أو بالتسحر . أما صيام النفل فلايحتاج إلى نية الليل لما روت عائشة رضي الله عنها قالت : دخل عَليَّ رسول الله ﷺ ذات يوم فقال : « هل عندكم شيء ؟ »قلت: لا ، قال : « فإني إذن صائم » قالت : ثم أتانا يوما آخر فقلت : يا رسول الله ! أهدى لنا حيس ، فقال: « أدنيه - أي قربيه - فلقد أصبحت صائما » أخرجه مسلم . فهذا يدلنا على عدم وجوب تبييت النية من الليل في صوم النفل ، وإلا لما عزم ﷺ على الصوم بعد بزوغ الفجر .

* * * *

الفصل الرابع

صلاة التراويح

روى أبو هريرة رضي الله عنه قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من قام رمضان إيمانا واحتسابا غفر له ما تقدم من ذنبه » . فقيام رمضان بنية صادقة خالصة رجاء الثواب وتحقيقا لرضوان الله ، سبب في غفران الذنوب .

ولقد سن الرسول ﷺ قيام رمضان جماعة ، ثم تركه مخافة أن يفرض على الأمة فلا تستطيع القيام بهذه الفريضة ، روى البخاري وغيره عن عائشة رضي الله عنها : أن الرسول ﷺ خرج ليلة في جوف الليل ، وصلى في المسجد ، وصلى رجال بصلاته ، فأصبح الناس فتحدثوا ، فاجتمع الناس أكثر منهم ، فصلوا معه ، فأصبح الناس فتحدثوا، فكثر أهل المسجد من الليلة الثالثة . فخرج رسول الله ﷺ فصلى ، وصلوا بصلاته ، فلما كانت الليلة الرابعة عجز المسجد عن أهله ، حتى خرج لصلاة الصبح ، فلما قضى الفجر أقبل على الناس فتشهد ، ثم قال : «أما بعد، فإنه لم يَخْفَ عَلَيَّ مكانُكم ولكني خشيت أن تُفرضَ

عليكم ، فتعجزوا عنها » فتوفي رسول الله ﷺ والأمر على ذلك ، وبقي الأمر على ذلك خلافة أبي بكر وصدر خلافة عمر . رواه البخاري،وكان الناس يصلون في رمضان في المسجد أوزاعًا متفرقين يصلي الرجل لنفسه ، ويصلي الرجل فيصلي بصلاته الرهط ، فقال عمر : إني أرى لو جمعت هؤلاء على قارىء واحد لكان أمثل . ثم عزم ، فجمعهم على أُبي بن كعب وخرج مرة فرآهم مجتمعين يصلون بصلاة أبي ، فقال : نعمت البدعة هذه ، والتي ينامون عنها أفضل من التي يقومون يريد آخر الليل ، وكان الناس يقومون أوله ، رواه البخاري . ويعني هنا عمر بـ « البدعة » : البدعة اللغوية لا البدعة الشرعية ، فإن البدعة لغة تطلق في عالم الشر وعالم الخير ، فيقال : هذا شيء بديع وقد يكون بديعا في عالم الاجرام أو في عالم الخير ، ومن ورودها في القرآن قوله : ﴿ بَدِيعُ السَّمٰوٰتِ وَالأَرْضِ ﴾ فجاء الشارع وخصص اطلاق البدعة في الشرع على ما كان شرا ، ولذلك كان يقول الرسول ﷺ : « إياكم ومحدثات الأمور ، فإن كل محدثة بدعة ، وكل بدعة ضلالة ، وكل ضلالة في النار » . و«كل» من ألفاظ العموم فتعم كل بدعة ، ولم يأت مخصص يخص بعض البدع بأنها حسنة كما يزعم بعض الناس ، واحتجاجهم بقول عمر : « نعمت البدعة » قول مردود لأن تعريف البدعة لاينطبق عليها ، فالبدعة : « استحداث عبادة في الدين غير مأمور بها يقصد بها التقرب إلى الله » فهذه الصلاة :

صلاة القيام مشروعة بنص حديث الرسول ، وصلاتها في جماعة مشروع أيضا ، لأن الرسول ﷺ صلاها بالصحابة ثلاث ليال وإنماترك ذلك مخافة أن تفرض عليهم فلما انقطع الوحي أَمِنَ ما خاف منه الرسول ﷺ وهو أن تفرض عليهم وبقيت السنة للجماعة لزوال العارض .

وأما عدد ركعات القيام فالصحيح الثابت أنها إحدى عشرة ركعة ، وقد سُئلت عائشة رضي الله عنها عن صلاة رسول الله ﷺ ، فقالت : ما كان يزيد في رمضان ولا في غيره عن إحدى عشرة ركعة ، يصلي أربعاً فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يصلي أربعا فلا تسل عن حسنهن وطولهن ، ثم يوتر بثلاث » .

ولا تعرف هذه الصلاة التي يصليها الناس اليوم ثلاثا وعشرين ركعة عن الرسول ﷺ ، ونسبتها إلى عمر رضي الله عنه نسبة غير صحيحة ، والأولىٰ بالعبد بل الواجب عليه البحث عن سنة الرسول ﷺ والتزامها ولو هجرها الناس ، ففي ذلك الخير والسعادة . ومما ابتلي به المسلمون في الصلاة ـ صلاة القيام وغيرها ـ السرعة المخلة بالصلاة في قراءة القرآن وفي الركوع والسجود وغير ذلك ، وهذا مخل بالصلاة مذهب لخشوعها وقد يبطلها في بعض الحالات .



الفصل الخامس

ليلة القدر

في حياة الأمم أحداث خالدات ، تحمل لها ذكريات عطرة ، تبهج القلوب ، وتنزل من النفوس برداً وسلاما نزول الماء في جوف الظمآن ، وقد تكون هذه الأحداث انتصارا في معركة ، أو خروجا من محنة ، أو ذكرى حاكم عادل ، أو قائد ملهم ، وعندما تحتفل الأمم بأعيادها التي تذكرها بهذه الأحداث تعبر عن الفرحة النفسية بحركات حسية وأفعال مادية ، فتنصب الأقواس ، وتجملها بالألوان وتدق المزامير والطبول وتقيم المجامع ، وترفع الاعلام ثم يكون جزاؤها على احتفالها بأعيادها لايتجاوز فرحتها بها .

ولقد كان نزول القرآن حدثا ضخما في حياة الأمة المسلمة ، فهو نورها الهادي ، وحياتها الصافية الرقراقة ، وسبيلها إلى العزة والكرامة ، ورافعها إلى قمم المجد والخلود فيه تاريخ حاضرها ومستقبلها ، وفيه تاريخ الأمم من قبلها بما فيه من عبر وعظات ، فيه حياة القلوب ، وبلسم الأدواء التي أعيا علاجها الأطباء ، فيه تحديد لعلاقات أفرادها بعضهم ببعض

وعلاقة الأمة الاسلامية بغيرها من الأمم ، لذلك كان نزول القرآن حدثا ضخما ترتعش لذكراه القلوب المؤمنة فرحا ، ولذلك كان الشهر الذي أنزل فيه القرآن خير الشهور ، والليلة التي أنزل فيها القرآن خير الليالي . ﴿ **شَهْرُ رَمَضَانَ الذي أُنزِلَ فيهِ القُرآنُ هُدَىً للناسِ وبَيِّناتٍ مِنَ الهُدىٰ والفُرْقَان** ﴾ . ﴿ **إِنَّا أَنْـزَلْنَاهُ في لَيْلَةٍ مُبَارِكةٍ إِنَّا كُنا مُنْذِرين** ﴾ . ﴿ **إِنَّا أَنْـزَلناهُ في لَيْلَةِ القَـدْرِ ○ وما أَدْرَاكَ ما لَيْلَةُ القَدْرِ ○ لَيْلَةُ القَدْرِ خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ** ﴾ .

غير أن الأمة لا ترفع لهذه المناسبـة الضخمة أقـواساً ولا تنصب أعلاماً ، ولكنها تتسابق فيه إلى الفضائل ، والمكارم ، فتجتمع فيه لا لتضرب الطبول ، وتنفخ في الأبـواق ، وترقص على وقع الأنغام ولكن لتقيم الصلاة ، وتقرأ القرآن وتتدارسه آناء الليل وأطراف النهار ، يرجع في هذا الشهـر الضال ، ويؤوب المذنب ، فيكثر فيه ذكر الله ، والدعاء والابتهال ، وكفى بقدر ليلة القدر أنها خير من ألف شهر ، وأن القائم فيها إيمانا واحتسابا يُغفر له ما تقدم من ذنبه ، وأن ملائكـة السماء ومعهم جبـريل يهبطون إلى الأرض ، وناهيك بنزولهم بركة وخيرا وفيها ﴿ **يُفْرَقُ كُلُّ أَمْرٍ حَكِيمٍ** ﴾ .

أي ليلةٍ ليلةُ القدر : ـ

وقـد عَرَّفَهَـا الله نبيه محمـداً ﷺ ثم حدث مـا تسبب في

رفعها ، فعن عبادة بن الصامت قال : قال رسول الله ﷺ : « خرجت لأخبركم بليلة القدر ، فتلاحى فلان وفلان فرفعت وعسى أن يكون خيرا لكم ، فالتمسوها في التاسعة والسابعة والخامسة . » .[1]

وقد كان الرسول ﷺ يعتكف العشر الأوسط من رمضان لغلبة ظنه أنها فيه ثم اعتكف العشر الآخر منه وأمر بالتماسها فيه وفي الوتر منه . عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال : كان رسول الله ﷺ يجاور في العشر التي في الوسط من هذا الشهر ، فإذا كان حين يمسي في عشرين ليلة تمضي ، ويستقبل إحدى وعشرين رجع إلى مسكنه ، ورجع من كان يجاور معه ، وأنه أقام في شهر جاور فيه الليلة التي كان يرجع منها ، فخطب الناس فأمرهم ما شاء الله ثم قال : « كنت أجاور هذه العشر ، ثم قد بدا لي أن أجاور العشر هذه:العشر الأواخر ، فمن كان اعتكف معي فليلبث في معتكفه ، وقد أُريت هذه الليلة ثم أُنسيتها فابتغوها في العشر الأواخر، وابتغوها في كل وتر، وقد رأيتني أسجد في ماء وطين . » فاستهلت السماء في تلك الليلة ، فأمطرت فوكف المسجد في مصلى النبي ﷺ ليلة احدى وعشرين ، فبصرت عيني - نظرت إليه - انصرف في صلاة الصبح ووجهه ممتلىء طينا وماء . رواه البخاري .

(١) مراده في تاسعة تبقى او سابعة تبقى أو خامسة تبقى .

وقد رأى كثير من الصحابة ليلة القدر وأنها في العشر الأواخر ، ولذلك قال لهم الرسول ﷺ : « أرى رؤياكم قد تواطأت في السبع الأواخر ، فمن كان متحريها فليتحرها في السبع الأواخر » .

وكان الرسول ﷺ إذا دخل العشر الأواخر من رمضان شد مئزره ، وأحيا ليله ، وأيقظ أهله ، وقد سألت عائشة رضي الله عنها الرسول ﷺ ماذا تقول إن علمت ليلة القدر ، فقال لها : « قولي : اللهم إنك عفو تحب العفو فاعف عني » .

الصيام المستحب

ينال العبد محبة الله ورضاه وجنته بأداء التكاليف التي كلف الله بها عبيده وهي الفرائض الواجبة ، ففي الحديث القدسي : « وما تقرب إلي عبدي بأحب إلي مما افترضته عليه » . فإذا أحب العبد أن يصعد في معارج الكمال ويتبوأ منزلة عالية ، فالسبيل المؤدي إلى ذلك الاكثار من النوافل ، ففي الحديث أيضا : « ولايزال عبدي يتقرب إليّ بالنوافل حتى أحبه » ، ومِن أَحَبِّ العبادات إلى الله الصوم ، يقول الرسول ﷺ : « ومن صام يوما في سبيل الله باعد الله وجهه عن النار سبعين خريفا » . رواه مسلم وغيره .

وهناك أيام صيامها أكثر من غيرها أجرا وثوابا ، فمن هذه الأيام الفاضلة المستحب صيامها : صيام يوم عرفة لغير الحاج ، وصيام يوم عاشوراء ، وهو اليوم العاشر من محرم ، وصيام ثلاثة أيام من كل شهر ، وصوم الاثنين والخميس . روى مسلم وأبو داود والنسائي وغيرهم عن أبي قتادة قال : قال رسول الله ﷺ « صوم يوم عرفة يكفر سنتين ماضية ومستقبلة ، وصوم يوم عاشوراء يكفر سنة ماضية » ، وعن عائشة قالت : « إن النبي ـ ﷺ ـ كان يتحرى صيام الاثنين والخميس » رواه الخمسة إلا أبا داود ، وقال الترمذي حديث حسن صحيح ,

وروى أبو قتادة أن النبي ﷺ سئل عن صوم الاثنين فقال : « ذلك يوم ولدت فيه وأنزل عليَّ فيه » رواه أحمد ومسلم وأبو داود .

وهناك شهور ، الصوم فيها أفضل من الصوم في غيرها من الشهور ، من ذلك شهر شعبان وشهر المحرم . سئل رسول الله ﷺ : أي الصيام بعد رمضان أفضل ؟ فقال : « شهر الله المحرم » رواه مسلم وغيره .

وعن عائشة رضي الله عنها قالت : لم يكن النبي ﷺ يصوم أكثر من شعبان ، فإنه كان يصومه كله.وفي لفظ : ما كان يصوم في شهر ما كان يصوم في شعبان ، كان يصومه إلا قليلا ، بل كان

يصومه كله . وفي لفظ : ما رأيت رسول الله ﷺ استكمل صيام شهر قط إلا شهر رمضان . وما رأيته في شهر أكثر منه صياما في شعبان . رواه البخاري ومسلم .

ويستحب اتباع رمضان بست من شوال ، فعن أبي أيوب عن الرسول ﷺ : « من صام رمضان واتبعه ستا من شوال فذاك صيام الدهر » رواه الجماعة إلا البخاري والنسائي .

ويستحب صيام ثلاثة أيام من كل شهر فعن أبي قتادة:قال رسول الله ﷺ : « ثلاث من كل شهر ورمضان إلى رمضان فهذا صيامكم الدهر » رواه أحمد ومسلم والنسائي .

والأَولىٰ أن تكون هذه الأيام الثلاثة هي الأيام البيض ، وهي الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر ، فعن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ : « يا أبا ذر ! إذا صمت من الشهر ثلاثة أيام فصم ثلاث عشرة وأربع عشرة وخمس عشرة ». رواه أحمد والنسائي والترمذي وصححه ابن حجر وابن حبان .

وأفضل الصيام صوم يوم وفطر يوم ، كما قال الرسول عليه الصلاة والسلام لعبدالله بن عمرو بن العاص : « صم يوما وأفطر يوما ، فإنه أفضل الصيام ، وهو صوم أخي داود » رواه البخاري ومسلم .

خاتمة

وبعد أخي القارىء ، فما أتينا في هذه الرسالة بجديد لم يقل ، فقد كتب العلماء في الصوم وأعادوا ، ومع ذلك فالكل منهله الكتاب والسنة ، فهما الينبوع المتدفق الذي يصدر عنه الجهابذة .

وكان الدافع إلى هذه العجالة التناصح والتذكير ، لعل القلوب ترجع إلى ربها ، وتعرف طريقها ، وتهتدي إلى الصراط المستقيم .

ووصيتي أخي إليك وإلى نفسي ، هي وصية رسول الله ﷺ : « تركت فيكم ما إن تمسكتم به لن تضلوا بعدي أبدا : كتاب الله وسنتي » فهل نستجيب . .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم

* * * *



الفهرس

الفصل الأول

فضائل الصوم وحكمته

الفصل الثاني

فرض الصوم على أحوال

الفصل الثالث

المدة التي يمسك فيها الصائم

الفصل الرابع

صلاة التراويح

الفصل الخامس

ليلة القدر